سورة آل عمران

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في قوله تعالى : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) الآيتين(١) إذا عرفت أن سبب نزولها قول أهل الكتاب : نحن مسلمون نعبد الله إلا إن كنت تريد أن نعبدك ، عرفت أنها من أوضح ما في القرآن من تقرير الإخلاص ، والبراءة من الشرك ، ومن أعظم ما يبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين ، وذلك أن الله وصف أئمة الهدى بالنفي والإثبات ، فنفى عنهم أن يأمروا أتباعهم بالشرك بهم ، أو بالشرك بالملائكة والأنبياء وهم أصلح المخلوقات ، وأثبت أنهم يأمرون أتباعهم أن يصيروا ربانيين ، فإذا كان من أنزله الله بهذه المنزلة لا يتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به ولا بغيره من الأنبياء والملائكة ، فغيرهم أظهر وأظهر .

وإذا كان الأمر الذي يأمرهم به كونهم ربانيين تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم ، ومعرفة الإخلاص والشرك ،

---

(١) قوله تعالى : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) سورة آل عمران : ٧٩ — ٨٠ .

ومعرفة أئمة الهدى وأئمة الضلال أفضل ما حصّل المؤمن ، لكن فيه من البيان قول اليهود : إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ، وقول النصارى : تريد ذلك أي إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت اليهود عزيراً ! إن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل ، ولكن الهوى يعمي ويصم .

وفيه معرفة الإنسان بعيب عدوه ، ولا يعرف ما فيه من ذلك العيب بعينه ولو كان فيه أضعافاً مضاعفة ، وفيه ما على من قرأ القرآن من الحق من تعلم معانيه ، وفيه أن عليه أن يعمل به ؛ وفيه أن يكون ربانياً ، وفيه أن ذلك بسبب درس الكتاب وعلمه وتعليمه ، وفيه أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه ، وفيه معرفة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو عليه من العدل والتواضع كيف يتفوهون له بهذا الكلام ، وهم تحت يده محتاجون له ، وفيه أن من أشرك بشيء فقد اتخذه رباً ، وفيه أن قوله في القرآن : (من دون الله) ليس كما يقول الجاهلون لأن أهل الكتاب لا يتركون عبادة الله .

وقوله عز وجل : (وإذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآيتين(١) فيه ما هو من أبين الآيات للخاص والعام . وكونه صلى الله عليه وسلم مذكوراً مبشَّراً به في كتب الأنبياء ، وفيه حجة على أن دعوته عامة

---

(١) قوله تعالى :(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا : أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) سورة آل عمران : الآيتان ٨١ ـ ٨٢ .

في الظاهر والباطن ، وفيه أن الإيمان به لا يكفي عن نصرته ، بل لا بد من هذا وهذا ، وفيه أخذه تعالى الميثاق على الأنبياء بذلك دليل على شدته إلا على من يسره الله عليه ، وفيه أن من آتاه الله الكتاب والحكمة أحق بالانقياد للحق إذا جاء به من بعده ، بخلاف ما عرف من حال الأكثر من ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص في حقهم ؛ وفيه مزيد التأكيد بقوله : (أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) وفيه إشهادهم مع شهادته سبحانه ؛ وفيه أن من تولى بعد ذلك فجرمه أكبر ، وفيه أن الآخر مصدق لما معهم لا مخالف له .

فإذا كان هذا في أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة إذا ضلوا ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذي أنزل الله عليهم ، وهو الذي ينتحلونه ؟ فإن تولوا بعد معرفته فأولئك هم الفاسقون . فإن جمعوا مع التولي تكذيبه ، وإن جمعوا مع التكذيب الاستهزاء ؛ فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة ، فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدّق كتابهم ونبيهم واستحلال دمه وماله ، فإن أضافوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبيهم ؛ونصروه بما قدروا عليه ، وبذلوا النفوس والأموال في نصرته ؛ وعداوة دين نبيهم وإزالته من الأرض ، حتى لا يذكر فيها فالله المستعان .

و(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق)(١) .

---

(١) سورة الأعراف : الآية : ٤٣ .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعـالى : ومن قوله : (يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب ـ إلى قوله ـ وما الله يريد ظلماً للعالمين)(١) فيه مسائل : الأولى ؛ معرفة سبب النزول يدل على شدة الحاجة لهـا فإذا احتاجوا فكيف بغيرهم .

الثانية : الخوف على مثلهم الردة بذلك ، فكيف بمن دونهم .

الثالثة : أن فيمن أوتي الكتاب من يدعو إلى الردة مثل ما أن فيهم من يدعو إلى الله .

---

(١) قوله تعـالى : (يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقـد هدى إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أُمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم . يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه فأما الذين أسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين) سورة آل عمران ١٠٠ ـ ١٠٨ .

الرابعة : التصريح بأن ذلك بعد الأيمان .

الخامسة : لطف الله تعالى بعبده بدعوتهم بهذا الوصف .

السادسة : استبعاد الكفر ممن تتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله ، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية .

السابعة : أن آيات الله لا نظير لهـا في دفع الشر في سائر الكلام ، كما أن رسوله لا نظير له في الأشخاص في دفع ذلك .

الثامنه : الرد على أعداء الله الذين زعموا أن القرآن لا يفهم معناه .

التاسعة : أن الاعتصام بالله جامع .

العاشرة : أن الطرق فيها المعوج وفيها المستقيم .

الحادية عشرة : ذكر حق تقاته .

الثانية عشرة : لطافة الخطاب .

الثالثة عشرة : لزوم الإسلام إلى الممات .

الرابعة عشرة : فيه التنبيه على قوله : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »(١) لأن ذلك سبب النزول .

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم ، وكتاب الحج ، وكتاب المغازي ، وكتاب الأدب ، وكتاب الحدود ، وكتاب الفتن) ، كما رواه مسلم (كتاب الإيمان) ، وأبو داود (سنة) ، والترمذي (فتن) ، والنسائي (تحريم) ، وابن ماجه (فتن) ، والدارمي (مناسك) ، ومسند أحمد ١ ــ ٢٣٠ .

الخامسة عشرة : كون الإسلام طاعة الرسول ومعصية أولئك .

السادسة عشرة : خوفك من الردة وإن كنت من الصالحين .

السابعة عشرة : ذكر الاعتصام بحبل الله وهو القرآن ؛ ففيه دليل على أنه عصمة .

الثامنة عشرة : الأمر بالاجتماع على ذلك .

التاسعة عشرة : تأكيده ما تقدم بالنهي عن الافتراق ، وفيه تذكيرهم بالنعمة التي هم فيها بعد تلك البلية .

العشرون : تذكيرهم بالنعمة العظمى وهي إنقاذهم من النار بعد أن كانوا على شفا حفرة منها .

الحادية والعشرون : ذكره هذا البيان الواضح في آياته .

الثانية والعشرون : أن الفائدة في تعليم العلم تذكر المتعلم واهتداؤه .

الثالثة والعشرون : ذكر الأمر بطائفة متجردة للدعوة إلى الخيروالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرابعة والعشرون : تخصيصها بالفلاح .

الخامسة والعشرون : نهيهم عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجيء الآيات .

السادسة والعشرون : فيه دليل على أن الله ذكر لنا من البينات في دواء هذا الداء ما فيه الشفاء .

السابعة والعشرون : وعيد من ارتكب هذا المنهى عنه بالعذاب الأليم .

الثامنة والعشرون : بياض الوجوه وسوادها .

التاسعة والعشرون : أن الذين اسودت وجوههم الذين كفروا بعد إيمانهم ففيه أن الواقعة كفر بعد الإيمان أو تجـــر إليه .

الثلاثون : الوعد الجزيل لمن سلم من ذلك .

الحادية والثلاثون : التذكر أن هذه النصائح والمواعظ هي آيات الله .

الثانية والثلاثون : أنه سبحانه يتلوها على رسوله لأجلنا .

الثالثة والثلاثون : تذكرنا بأن تلك التلاوة بالحق .

الرابعة والثلاثون : الاعتذار بأنه لا يريد ظلم أحد من العالمين .

الخامسة والثلاثون : تذكيرنا بأن له ما في السموات وما في الأرض .

السادسة والثلاثون : تذكيرنا بالرجوع إليه .

* * *

obeikandl.com